

شبكة الألوكة / آفاق الشريعة / منبر الجمعة / الخطب / الرقائق والأخلاق والآداب / في النصيحة والأمانة



واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله

الرهواني محمد

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 9/9/2014 ميلادي - 14/11/1435 هجري

الزيارات: 25133



واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونثني عليه الخير كله، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائم على كل نفس بما كسبت، والرقيب على كل جارية بما اجتريحت، والمتفضل على عباده بنعم توالى وكثرت، سبحانه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض تحركت أو سكنت. وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، الذي تَمَّتْ ببعثته النبوة وختمت، وسطعت به أنوار الشريعة وكملت، وعلت به راية الملة وارتفعت،..

أما بعد معاشر المؤمنين والمؤمنات، أوصيكم ونفسي أولاً بتقوى الله، لأنه من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، لأنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً، لأنه من يتق الله يجعل له من أمره يسراً، فاللهم اجعلني وأحبتي من المتقين.

معاشر عمار بيت الله.

إن الله تبارك وتعالى يعظ عباده ويقرر قلوبهم بمواعظ عليها تعود وتُنِيب إلى الله علام الغيوب، فالمواعظ من العلي القدير نعمة ورحمة، يهدي بها سبحانه من الضلال، ويرحم بها من العذاب.. ومن هذه المواعظ التي جاء ذكرها في كتاب ربنا تبارك وتعالى، موعظة، آية، تذكرة، أحببت أن أذكركم، والذكرى تنفع المؤمنين، وأذكر نفسي بيوم سيعيشه كل واحد منا، وهو يوم الرجوع إلى الرب العلي القدير.

يقول رب العزة جل وعلا: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 281]. آية أقضت مضاجع الصالحين الذين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون.

فإن الله سبحانه وتعالى يعظ عباده ويذكرهم بزوال الدنيا وفناء ما فيها، يذكرهم بالرجوع إليه ومحاسبتهم على ما عملوا، ومجازاته إياهم بما كسبوا من خير أو شر...

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [البقرة: 281]، إنه يوم عظيم، يوم ليس ككل الأيام، يوم تجتمع فيه الخلائق من أولها إلى آخرها بين يدي رب العالمين، يوم يتخلى فيه القريب عن قريبه، ويفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه.

إنه اليوم الذي تُرجع فيه النفوس إلى بارئها وخالقها، وتحاسب فيه على أعمالها وأفعالها: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7، 8].

إنه اليوم الذي كتب الله عز وجل على كل ضعيف وقوي، كل غني وفقير، أن يُقاد إليه عزيزا أو ذليلا، كريما أو مهانا: ﴿وَكُلُّ أُنُوفٍ ذَاخِرِينَ﴾ [النمل: 87]، صاغرين مطيعين لا يتخلف أحد عن أمره...

إنه اليوم الذي تنتهي عنده الأيام، وتتبدد عنده الأوهام والأحلام، ويجتمع فيه الخصوم، ويُنصف فيه المظلوم وتُنشر فيه الدواوين: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: 49].

إنه اليوم الذي تُنصب فيه الموازين لمحكمة إله الأولين والآخرين: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

إنه اليوم الذي تُجمع فيه الأمم في موقف واحد، فتُنسى الشهوات وتزول المغريات، ويعاين العبد فيه الحقائق أمام عينيه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُكُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: 94]. فأين الحرير واللباس وأين الشدة والبأس، وأين المال والجاه؟ لقد انكسر العباد لرب العباد، لكي يفصل بينهم في يوم التناد، في يوم تتغير فيه ألوان الناس: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: 106]، وينادي مناد الله، لكل عبد ما جنت يده، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: 30]، فيُدعى عبد من العباد على رءوس الأشهاد، فلان ابن فلان، فيقف هذا العبد بين يدي الله، والشهود حاضرة، والأبصار شاحصة، يقف العبد حسيرا كسيرا أسيرا ذليلا حافيا عاريا بين يدي جبار السماوات والأرض، لكي يسأله ويحاسبه ويجازيه...

ففي الحديث الصحيح أن رجلا سأل ابن عمر: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: "يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه، فيقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرئه ثم يقول: إني سترتها عليك في الدنيا، فأنا أغفرها لك اليوم".

وفي الحديث الموقوف، عن أبي هريرة، يُدني الله تعالى العبد منه يوم القيامة، فيضع عليه كنفه ويستتره من الخلاق كلها، ويدفع إليه كتابه في ذلك الستر، فيقول له: اقرأ يا ابن آدم كتابك، فيقرأ، فيمر بالحسنة فيبيض لها وجهه، ويسر بها قلبه، فيقول الله عز وجل: أتعرف يا عبدي؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول: إني تقبلتها منك، فيسجد ذلك العبد، فيقول: أرفع رأسك، وعد في قراءتك، فيمر بالسينة فيسود لها وجهه، ويؤجل منها قلبه، وترتعد منها فرائضه ويأخذه من الحياء من ربه ما لا يعلمه غيره، فيقول الله: أتعرف يا عبدي؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول: إني أعزفت بها منك، قد غفرتها لك، فلا يزال حسنة تُقبل فيسجد، وسينة تُغفر فيسجد، فلا يرى الخلاق منه إلا السجود، حتى ينادي الخلاق بعضها بعضا: طوبى لهذا العبد الذي لم يعص الله قط، ولا يدرون ما قد لقي فيما بينه وبين الله".

فيقول أرحم الراحمين: خذوا عبدي إلى جنات النعيم، خذوه إلى الرضوان العظيم، فيُعطي كتابه بيمينه، فينطلق بين الصفوف ضاحكا مسرورا، ويصبح أمام العالمين: ﴿هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةً * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ [الحاقة: 19، 20]، جزاؤه: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: 21 - 24]، فيقول الناس: فاز فلان وأفلح.

ثم ينادي المنادي فلان ابن فلان، أن قُم إلى العرض بين يدي الله. وجاء في الأثر، أن الله يسأل هذا العبد أسئلة ثلاث، فيسأله السؤال الأول: عبدي، هل ظلمك حفظتي؟ فيقول العبد: لا يارب، ثم يسأله السؤال الثاني: ألك حسنة مخفية؟ فيقول العبد: لا يا رب، ثم يسأله السؤال الأخير: ألك عنر تعتذر به؟

ما عذرك أيها العبد عن نهار أضاعته بعيدا عن الله، وعن ليل طالما قضيتها في معصية الله، فقد لقيت الله محاربا، وعلى المعاصي مصرا.. فكم من نهار اقتترفت فيه من السيئات؟ وكم من ليلة بثتها على فواحش المنكرات والمحرمات؟ فأي منفعة قدمتها، وأي حسنة ترجوها؟....

الخطبة الثانية

معاشر الصالحين والصالحات:

فمن أراد النجاة والفوز، من أراد السعادة الكبرى والنعيم المقيم، فليجعل هذه الآية، نصب عينيه فلا تبرح خياله ولا تغيب عن باله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: 281]، ولست أقصد بعرض هذه التذكرة أن نجلس صامتين تملأ الدموع أعيننا، بل علينا أن نحفز أنفسنا باستغلال طاقة الحزن على تقصيرنا لصنع التغيير الداخلي في أنفسنا والتخلص من شوائبها وأمراضها فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَهُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11].